مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 6 العدد 2 / ديسمبر 2020
ص ص: 6- 21

بناء الذات وفق التفاعل الاجتماعي- سنن التغيير والتطوير- قراءة سيميائية

Self-building According to Social Interaction - the Laws of Change & Development - Semiotic Reading

إيمان توهامي
كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر– بسكرة،
m.imane.touhami@gmail.com

الاستلام:2020/08/24 القبول:2020/12/17 النشر:2020/12/31

ملخص:

وجب علينا أن نقف قليلا عند أهمية التفاعلية الرمزية للعلاقات الاجتماعية ودورها في تكوين الذات، من منظورها البلاغي والدلالي والمرجعي بوصفها نسقا تنمو فيه الذات وتتطور من الخلال التواصل الثقافي والفكري فالإنساني، لتسعى هذه الدراسة إلى رصد تكون النسق الرمزي للذات المتفاعلة في دلالته المكثفة والإشارية في إيصال المعنى، لكون الذات تعتمد على تفعيل الحواس مع الموضوع المسقط فيه، لتأتي هذه الورقة البحثية لتوضح ميزة التفاعلات الاجتماعية في تغير السنن التركبي للذات عل مستوى الوعي والاحساس، من خلال سيميائيات الثقافة التي تركز علة الوسط الثقافي بوصفه المناخ الذي تتم فيه عملية التواصل بين الذات ومجتمعها في مختلف القنوات التواصلية التي يوفرها، وإبراز ودورها في بلورة الوعي الثقافي للذات في صلاتها بالوجود، وكيف تساهم في بناء ذوق معرفي وفني جديد في عملية تلقي المعارف التي تتفاعل معها الذات، لتمر إلى مرحلة التغير والتبلور بوصفها سنن التشكل النهائي لشخصية الانسان وفهم ذاته بما يحيط بها، وهنا نكشف تأثير التفاعلية في قوة إنتاجها الدلالي عبر الفاعل الرمزي بين الأفراد في علاقاتهم اليومية، من ناحية سلطتها عليهم في تسريب مجموعة من المعارف بمختلف الأيديولوجيات التي تمر معها إلى أذهانهم بوصفهم مرسلا ومتلقيا في الوقت نفسه بصورة لاشعورية، فتصبح جزءا من تكوينهم الثقافي وأساسا لبناء أحكامهم حول الأشياء والشخصيات والمواقف المشكل لصلاتها المستقبلية.

الكلمات المفتاحية: الذات، التفاعل الرمزي، المناخ الاجتماعي، سيمياء الحس والثقافة.

Abstract:

We have to pause a little at the importance of symbolic interaction of social relations and its role in the formation of the self from its rhetorical, semantic and reference perspective as a system in which the self grows and develops through human cultural and intellectual communication, so this study seeks to monitor the formation of the symbolic pattern of the interacting self in its intense and indicative significance in conveying the meaning Because that depends on activating the senses with the subject projected in it, this paper comes to explain the advantage of social interactions in changing the structural norms of the self at the level of consciousness and feeling, through the semiotics of culture that focus on the cultural milieu as the climate in which the process of communication between the self and its society takes place in The various communication channels it provides, highlighting and its role in crystallizing cultural awareness of the self in its connection to existence, and how it contributes to building a new knowledge and artistic taste in the process of receiving knowledge with which the self interacts, so that the stage of change and crystallization passes as the norms of the final formation of the human personality and the understanding of himself in what surrounds Here, we reveal the effect of interactivity on the power of its semantic production through the symbolic actor between individuals in their daily relationships in terms of its authority. They have to infuse a group of knowledge with the various ideologies that pass with it into their minds as a sender and a receiver at the same time in an unconscious way, so that it becomes part of their cultural formation and a basis for building their judgments about the things, personalities and attitudes that form their future connections.

Key words: *subjectivity, symbolic interaction, social climate, the chemistry of sense and culture*

1- مقـــدمـــة

إنّ ما سنطرحه في هذا البحث يعتبر تصوراً جديداً لفهم بعض الحقائق عن عالم الذات وفق النظام التجردي لبيتها الفكرية، وحسب المعطيات المتأتية من عالم الحس والإدراك، وكلّ ذلك في ضوء ما تقدّمه سيمياء الحواس والثقافة من نظريات وأفكار منهجية، نتوخى من خلالها أن نقف على البنية التجريدية لكيفية فهم معطيات الوجود، وإعادة صياغتها على مستوى الفكر في السلوكيات التفاعلية للذات عبر المناخ الاجتماعي الذي تتواجد فيه، مستقرأة في ذلك المشهد الاجتماعي من حيث هو مدرك حسّي يعود إلى حقيقة مجرّدة ويحيل إليها، في المعطيات والأفعال التي تشكل معارف الذات الأساسية المستند إليها في مرحلة التغير، لتمر الذات هنا بمراحل في عملية

التطور الفكري، تعمد فيه أن تكون هي النقطة الوسطى في العلاقات المركزية للتفاعل الوجودي اليومي باستيفاء حق هذه المركزية من الحضور، فالذات في الوسط الاجتماعي تحمل دلالة على القصد الفعلي للتواصل لتأخذ مدلولها منه، ويتحدد فعلها بمعنى من المعاني فإن هذه العلامة مُرَتكز لتصوّر عام وتصوّر خاص في الوقت نفسه.

إذ يعتبر النظام الكوني بكل ما فيه من إشارات وعلامات ورموز نظاماً ذا دلالة تسند إليه الذات في قراءة المعطيات التي تتسرب إلى حواسها وتشكل إدراكها؛ وبما أن السيميولوجيا الثقافة هي العلم الذي يدرس الإشارات الدالة مهما كان نوعها في بنيتها وعلائقها في هذا الكون، لذا أردت أن تكون هذه الدراسة منطلقة في إيجاد الصلات الدلالية الدقيقة في عملية التفاعل الرمزي التي تأطر سنن التغير وتشكلها، بين المحسوسات والمجرّدات إلى المركبات الواقعية في تعاضدها بعضها بعض؛ لتهيئة المناخ المناسب الذي تسند إليه الذات في كل مرحلة تطور وتغير.

ولنلفى أن موضوع الذات من المواضيع المشتركة في المجال البحثي خاصة، في العلوم الاجتماعية والإنسانية للتأصيل لها والبحث في حقيقة ما يشكلها ويحدد هويتها، ففي الأدب نجد أن الجانب الحضوري في النص الإبداعي هو الأساس مثل دراسة "محمد برادة " في كتابه " الذات في السرد الروائي، وعلم الاجتماع مثل " ماجدة محمد الخياط في مقالها " العلاقة بين مفهوم الذات الأكاديمية والدفاعية الأكاديمية لدى طلبة جامعة البلقاء التطبيقية".

2- <u>الذات والنسقية الاجتماعية:</u>

ننطلق في قراءتنا النقدية من المدرسة السيميائية باعتبار أن التفاعلية الرمزية تتأسس على مجموعة من الأنساق الثقافية أي؛ الذوات الصغرى بوصفها ملكات معرفية يتم من خلالها تحليل المختزن الذهني بأنماطه المعلوماتية المختلفة المعبر عنها بصورة مرمزة، تشكل في مجموعها تصور موحد للعالم داخل نسق الرمزية، التي تعكس معها خبرة معرفية تساهم في بناء الوعي وتطوير الذات، تشكل في مجموع تفاعلها تصور موحد للعالم يترجم في مظهريتها التفاعلية البنية الهندسية الذهنية للتفاعل الرمزي.

فسعى علم الاجتماع لدراسة "**الذات**" بوصفها مفهوما وإدراكا للنفس ضمن محيطها، للقبض على حقيقتها الجوهرية ضمن تفاعلها الدؤوب معه، لذا فالحديث على

النزعة الذاتية في علم الاجتماع هو ضرورة تحقق لدراسة بينة الوجود الانساني أو الإنسان، لذا يجب" أن نحقق أول الانعكاس الذاتي، في الوقت ذاته الوعي بالذات يرد أفكار الإنسان إلى ذاته، كتأكيد على النزعة الإنسانية الثابة"[1].

وتحديدا أن الذات التي تؤكد على نزعتها الذاتية ضمن علاقات تفاعلية بوصف، الإنسان الذي لا يمكن أن يعيش إلا ضمن وسط يتبلور تكوينه النفسي والإدراكي، لذا كانت الذات المدركة يركز عليها في دراسة تكوين التصور الذهني للذات الواعية أي؛ جملة التصورات الذهنية من معارف ومفاهيم وحقائق وقيم وأنظمة تشكل النسق المعرفي الذي يبلور وعي الذات اتجاه أي شيء تتعامل معه، وهنا تشتغل السيمياء بوصفها مجالا يهتم بتحليل النسق وبوصف بنيته التجريدية الخالصة، وهنا تعتبر الذات نسقا معرفيا يتم تحليل مكوناته الأساسية والفرعية ضمنه، ليسهل علينا فهم آلية تطور الوعي الإنساني ضمن مناخه الثقافي بوصفه وسطه التفاعلي.

حيث يتم تحليل جملة التصورات الذهنية التي يكونها الإنسان انطلاقا من الملامسات العينية المباشرة لكل ما يتفاعل معه، لأن المختزن الفكري يتم تكونه من تضافر قوى الحس المشتركة بعضها ببعض، في استقطاب المعلومة وتسجيلها في الذهن عميقا، لذا تعدُ سيمياء الثقافة الظواهر الثقافية أنساقا دلالية وموضوعات تواصلية حاملة للمعنى وباعثة له، تستقبلها الذات بوصفها بؤر معرفية تنمي مدركاتها من خلاله عبر التلقي الرمزي في بعض من محاطته، وهنا ندرك أن الظواهر الثقافية تشتغل باعتبارها عمليات تواصلية تربط بين اللغة والمستويات الثقافية والاجتماعية والأيديولوجية[2].

فالثقافة هنا تعد نظام من العلاقات بين العالم والإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا، وهذا النظام ينظم سلوك الإنسان اجتماعيا من ناحية، ويحدد الطريقة التي يهيكل بها العالم من ناحية أخرى، وبما أن نظم العلاقات بين العالم والإنسان يختلف من ثقافة إلى أخرى، فهذا يعني أن الذات لا ينظر إليها إلا باعتبارها نصا واحدا ينتمي إلى نظام فرعي من النظم الدالة يمكن أن يقرأ قراءة متباينة،لأنها نظام دال كبير يتكون من نظم دالة مختلفة ومتميزة، وهذه النظم الدالة لا تستعمل إلا باعتبارها تنتمي إلى وحدة – لذا قيل إن الثقافة نظام متدرج من الأنساق – ومرتكز بعضها على بعض، فسيمياء الثقافة في هذه الحالة تعتبر علم العلاقات الوظيفية للنظم الدالة المختلفة>> [3].

3- تطوير الذات وبنائها وفق التفاعل الرمزي.

يعتمد تطوير الذات على رؤيتها للمجتمع وما يحمله اتجاهها من صور مختلفة القيم والأحكام، وينبني على وعيها بهذه الصورة الذهنية المخزنة عند المجموعة التفاعلية التي تتعامل معها، وهذا يساعد الذات على تقييم نفسها من هنا يشرع المنطلق التأسيسي لتطوير الذات، أن تصل إليه أو الصورة النموذجية التي يريدها المجتمع، إن كانت تساير منطقه العام في بناء الشخصية التوافقية وإن كانت مختلفة في عنهم في معظم المفاهيم التي كسبتها، لكون الذات هنا تعمد للوعي الذاتي في تطوير نفسها وفق الخصائص والقيم التحسينية، التي تنمي مهاراتها التواصلية والتكيفية أو التفوقية في تعاملها العلاقاتي مع مجتمعها، لتجد مقرها ومكانها ضمن البيئة الاجتماعية التي تولدت منها.

لذا يعرف تطوير الذات على أنه السعى وراء تطوير النفس وتحسين المؤهلات والقدرات والإمكانات الشخصية كالقدرات العقلية، من القدرة على التركيز وتحسين مهارات التواصل، وفهم الآخرين ومهارات التعامل مع الذات، والسيطرة على ردود الأفعال وتقوية كل مواطن الضعف في الشخصية، هنا يتميز تطوير الذات بكونه جملة نشطات تطور الوعي والهوية و دليل عليهما، في تطور المواهب ونموها وتكون أساس الإنسان، حيث تسهل عليه فرص العمل وتحسن معيشته وتساهم في استيعاب الأحلام والطموحات، لأنها تساهم في الوصول إلى الأهداف والغايات التي يسعى إليها الإنسان، هذا ما يزيد في قوة علاقاته الاجتماعية باعتبارها الحافز الأولي نحو التطور[4].

فرؤية المجتمع ورغبته في تسير الأمور بنظام يحافظ على استقراره هي ما يجعل الذات تبحث عن معايير توافقية، تساهم في تطويرها بصورة سلسة بحيث لا تتصادم مع النظام القائم، ومن هنا تعيد بناء نفسها وفق المنظور التوافقي فتخلق قناة وسطية، من قيم التي يؤمن بها المجتمع ولا تشكل تهديد للذات من ناحية تملصها منها، و تذهب إلى مرحلة تطوير فالتطوير هنا بالضرورة يقضي التخلص من القيم المهدد للتطوير وهي من نظر الذات سلبية تسعى لتجاوزها نهائيا.

إذا توجهنا إلى المفهوم العام للذات نجد بأنها تتموضع في التداخل القائم بين العديد من العوامل، المتمثلة في الصورة المكونة التي يشكلها الفرد عن نفسه، التي تميزه عن بقية الأفراد والآخرين، وكذلك عن الانطباعات المتولدة لدى الآخر إزاء

ذلك الفرد، أو في" البناء المعرفي الذي يتكون من أفكار الإنسان عن مختلف نواحي شخصيته، فمفهومه عن جسده يمثل الذات البدنية، وعن فكره الذات العقلية، وعن سلوكه الاجتماعي مثال للذات الاجتماعية" [5]، فنستنتج من هذا أن إدراك الذات ووعيها بذاتها تتشكل انطلاقا من الفكرة التي تتبلور في ذهنه حول ما يقابله من أشياء .

فالقناة الوسطية هي من تصنع رؤية الذات لفرادتها الصفاتية التي تميزها على غيرها، لذا يعتبر المفتاح هنا هو الوعي بالذات فيما يميزها من سمات فارقات على بقية أفراد المجموعة التي تنمي إليها، فالوعي الذاتي هو آلية للتحكم في الذات والسلطان الحامي لها من التدخل الخارجي، ودرع تمضي به في تجاوز ما هو سائد نحو التطور، فالقناة الوسطية تساعد هنا في إعادة قراءة معطيات المجتمع في ما يكونه من مفاهيم قارة وأخرى متغيرة أو طارئة عليه، وهنا تخزن الذات في قناتها الوسيطية موقفها من كل قيمة ومفهوم يكون نظام مجتمعها وتحدد أين تتموقع منها، لذا تحدد الذات هدفها الذي يتطلب تقدير العلاقة التي تربط مكونات الذات من العقل والروح والجسد باعتبارهما مركب الكيان الإنساني[6].

فتطور الذات ينطلق من وعيها بمنطقة التفاعل المتواجد فيها في مختلف مراحلها العمرية المختلفة، لذا " قد يختار الفرد أن يبدأ بتطوير الأفكار وهذا بحسب حالته النفسية ويجعله أكثر نجاحا في مسار حياته وتحديداً لأولياته"[7]، وهذا ما يساهم في البناء الفكري للذات الذي يشير إلى مفهومين متلازمين هما التفكير والبناء " وهما كلمتان منقسمتان في النشاط البشري كل منهما مصدر لفعل يشير إلى الفعل وإلى النتيجة لذلك الفعل، فالفكر موضوع يتم بناءه والبناء عمل موضوعه الفكر، لذا فـــــالبناء عملية هو ناتج لهذه العملية يظهر بخصائص ومواصفات محددة، عملية البناء تعني عملية الانتقال من حالة قائمة إلى حالة منشودة، أما البناء بمعنى الناتج فهو تركيب ".[8]

مما يجعل الذات تتشكل كدال متكامل تكتفي بذاتها وقادرة على توليد سلسلة لا متناهية من الدلالات انطلاقا من تنوع الأنماط الصانعة لكينونتها، عبر وعيها بجسدها لأنها الخطوة الأولى نحو انفصالها عن الأشياء والغوص عميقا نحو عالم الذات، المندرج في الحقل الثقافي حيث يتحدد كينونته من هذا النمط الثقافي الذي يأطره، وفق

المساحة الشخصية التي تتموقع فيها الذات، هو ما يبرر العلاقة بين الوعي الإنسان لوجوده كذات عارفة ووعيه بجسمه كموضوع معرف [9].

لذا فلبناء الفكري للإنسان يتصف بالحركة والتطور والتغير والنمو من داخل الإنسان وفقا لشخصية الفرد ومن بنائها الفكري والنفسي، أما الوقت الحاضر يختص البناء الفكري للذات بالقناعات العقلية والمعتقدات وما يتضمنه من حقائق ومفاهيم ومبادئ ونظريات، أما البناء النفسي فيختص بالأولويات والوجدانيات حيث تتحكم الإرادة والدوافع والمشاعر في السلوك العملي للإنسان، فيصبح الفكر هنا نتاج عملية التفكير التي تعد نشاطا ذهنيا داخليا يقوم به الإنسان بصورة واعية وغير واعية، وهذه العملية تتضمن مرور الخواطر والتخيلات والمدركات الحسية أو الانفعالية، التي تسبق أو ترافق قيام الإنسان بأي سلوك أو تصرف خارجي أو داخلي لذلك فالفكر جهد بشري قابل للتقوم[10].

فالذات هنا نظام قائم على البعد التواصلي في علاقاته التفاعلية مع الوجود العيني أو الوجود التخييلي فالافتراضي، الذي يخلقه لنفسه بوصفه واقعا موازيا لواقعه اليومي، يقوم ببناء تصورات افتراضية لمواقف أو سلوكيات مستقبلية تتموضع الذات المتخيلة بداخلها، تعيش هذه المواقف بصورتها الواقعية بكل ملابساتها ومحايثاتها، فتفرض الوقوع في الإشكال المعرفي أو الخطأ السلوكي أو الحكم المعرفي التقويضي، فتقوم بداخل وعيها بتعديل منظورها المعرفي اتجاه الأحداث المستقبلية التي قامت بافتراضها، هذا يساهم في تعديل الذات وتطويرها من ناحية السلوكيات والمعارف التي هي بصدد التفاعل معها مستقبلا.

وهنا تقيم الذات موازنة بين واقعها الداخلي وواقعا الخارجي لتتعايش مع ما يتم تسربه من معلومات ستتشكل نسقها المعرفي والتواصلي، الذي ستتعامل به مع محيطها لتحقق توازنها الداخلي في مرحلة تطور من مرحلة معرفية إلى مرحلة معرفية تالية، في كل نقطة تفاعل في النسق التواصلي العام بوصفه نسق معرفي عام، الذي تتحرك وفق ميكانزماته التواصلية ومعطياته التي تم استيعابها وتصنيف مركباته ليسهل تغلغل الذات في أي حدث تواصلي/ معرفي هي مقبلة عليه.

وهذا ما شكل نمطا معرفيا عند الذات من مختلف أنواع التفكير من الفكر العميق، المتشعب، الإبدعي، المعادي، الاستراتيجي، النقدي، السببي، الايجابي، السلبي،

لأنه صورة من صور وعي الإنسان بذاته وبما هو خارج عن ذاته مثلما يؤكد عليه ابن خلدون في قوله:" إعلم أن الله سبحان وتعالى منير البشر عن سائر الحيوانات بالفكر، الذي جعله مبدأ كماله ونهاية فصله على الكائنات وشرفه ذلك أن الإدراك وهو شعور المدرك في ذاته مما هو خارج عن ذاته"[11]، ما يؤكد على قدرة الإنسان على الفصل بين الواقعين المعرفين الداخلي والخارجي لما اكتسبه من وعي كاف يتطور مرحلة بعد مرحلة.

لندرك هنا أن الجانب التفاعلي يساهم في تحديد الجانب التفكيري المحدد الذي ستتخذه الذات بوصفه نمطا تفكيريا الأساس لتوجهها الفكري النهائي، هنا يتحول إلى مبدأ أو قناعة تطور به الذات نفسها في أي مرحلة مفصلية في تطورها التالي إلى نموها المعرفي النهائي، ليقدم التفاعل الاجتماعي للذات سنن تواصليا يساعدها في بناء ذاتها، لذا << يصبح العالم الخارجي بمختلف ظواهره الوجودية وأشكال تمظهراته، في شكل تصور ذهني هو نسق، أو نموذج يصوغ العالم بشكل متفرد وخاضع لقوانين ثقافية خاصة، مع وضع جملة من الاعتبارات منها خصوصية كل ثقافة طبيعة، وآليات إنتاج المعني وسنن التواصل فيها [12]>>.

تتولد هنا ذات منتجة من خلال الظروف التي تعيشها كمنتجة للقول والكلام الروئ عبر خطاب الفكر الواعي بذاته[13]، و نشير هنا إلى أن الهوية التي تريدها الذات وتسعى إلى الوصول إليها ليست قارة وأساسية في المجتمع؛ بل هي هوية مطاردة من قبل الأعراف والعادات والقيم، وما كونته الذات عن نفسها أي أنها هوية متغيرة، لذا تسعى الذات في مرحلة تطورها إلى استقراء هذه العلاقة من جديد لضبط هويتها التي تكون الاجتماعية لتطور لنفسها هوية خاصة مضادة أم مواكبة.

فتتطور الذات في نموها الفكري دوما من خلال العلاقات التفاعلية التي تبنيها من جديد من وسط مختلف، مثل الخبرات والمعارف التي تكتسبها من علاقات جديد خارج محيطها الفكري الأصلي الذي تنمني إليه، من خلال الرحلات العلمية والبعثات والتصدير الثقافي الذي تتفاعل معه الذات، إنها وسائط معرفية مخالفة للذات كل واحدة منها تفتح مجالا فكريا جديدا يساهم في تطور الوعي واتساعه على أفاق معرفية عديدة، تفتح مجال التفكير والتحليل والتأمل في ما يحيط بالذات لأنها تعد خبرات معرفية،

أنتجها فكر سابق زمنيا أو من زمن الذات وفق مركبات وجوده وتعكس نظرتهم اتجها وتصوره، كل هذا يطور الذات على صعيدها الشخصي والفكري والعلاقاتي.

فالمجتمعات الغربية أو الآخر يعد بالنسبة للذات مصدرا معرفيا يساهم بكل ما يصنعه، من معلومات ومعارف وطرائق حياتية وعادات وتقاليد في بناء شخصية الذات وتنميتها بشكل ما، ويتجسد هذا الإدراك الغيري من خلال حاجته الذات للآخر، فيصبح الآخر هو النافذة لبداية الوعي الكلي والشامل بالجسد الأنا، وينتقل بالعلاقة من البهيمية والعشوائية إلى الوجود، لتشبع الذات النقص الموجود فيها من خلال الآخر، إن ذلك لا يعني أن الذات تذوب في الآخر بشكل كلي، بل يكون وسيلة مساعدة لإدراكها، << ليس ثمة ذات من أجل ذاتها بشكل نهائي ومطلق ، كما أنه لا وجود لتطابق مع الآخر>>[14].

لأن الفكر الإنساني يعد ذاكرة هائلة تحتفظ تاريخا طويلا وعميقا من التجارب الإنسانية والكونية، فالفكر هنا يعتبر مخطوط لحقائق تكون الذات وتطور من مهاراتها الفكرية والتعاملية والتكيفية، مع مختلف ظروف الحياة التي تتشابه بين الأمس واليوم، أما المتغير فهو نمو الذات في بعض من حيثيات بنائها كما أن هذه المعرفة السابقة هي دروس تستفيد الذات من معلوماتها حسب الجاجة لتزود بها تطور سلوكها في المجتمع، لأن التاريخ الإنساني يمثل بنية كلية تنطوي فيه الحصيلة المعرفية بكل أنواعها النفسية والتارخية والثقافية.

لأن الذات في مرحلة تطورها تنقل لها التجارب والخبرات الذاتية المختلفة التي تشكل المعرفة أو النسق المجتمعي إلى مواقف ومجالات للتعرف على أوجه التشابه في هذه المواقف المتعامل معها، وهنا تقيس الذات مدى تطورها في كل النواحي وآلية التكيف الأنجع لها لتبرز بوصفها ذات متفردة في خصائصها، وعن طريق نمو الفكر هنا بين مرحلتيه الخارجية المرتبطة بالعوامل النسقية الخارجية التي تتفاعل معها الذات، المتضافر بالعوامل النفسية والشخصية الداخلية تحدد الذات موقعها ونمط تفكيرها المؤسس لمنطق فكرها المستقل الذي تستطيع أن تندمج وتخرج به من تبعية الذات الاجتماعية.[15]

لتدخل الذات هنا في مرحلة التفكير الإبتكاري غير العادي والمألوف الذي تتبع فيه نمطا جديدا لمعالجة ما تتعلمه من جديد المواقف، حيث تبدأ في إدراك الثغرات والفوارق والمعلومات، لتنطلق في بناء وعيها الذاتي لتبحث في الدلائل والمؤشرات في

الموقف واستعمال ما لدى الفرد، من معلومات التي تميز الذات بفكرها الخاص، وهنا تعد لحظة التميز الحقيقي لوجود الذات خارج حدود المجموعة التي تتواجد بها، حيث يمكن لها التملص من إرادة المجموعة في صنع القرار أو العمل به واتخاذ الخطوات وتحديد المسارات، وهنا تكون الذات قائدة نفسها بعد أن تنفرد بالقرار بعيدا عنهم، لتكون هي فقط موجهة نفسها مفارقة النظرة الكلية التي تمثل وساطة عليها بالنسبة لها، لتنطلق في خطوات الخاصة بها وهي نقطة إرادة الفعل الذاتي لتظهر بذلك البيذاتية الخاصة بها؛ أي الهوية الآنوية التي تتملص فيها الذات من السلطة المجتمعية.

لذا يمكن القول أن للذات وعيا هو محصلة عمليات ذهنية وشعورية معقدة، لكون التفكير وحده لا ينفرد بتشكيل الوعي ليضاف له حدس الذات وخيالها وأحاسيسها، فإرادتها ومبادئها ليشكل في مجمله مزيجا معرفيا وخبراتيا، يجعل لكل شخص نوعا من الوعي يختلف عن وعي الآخر، الذي يتعامل معه وهذا هو التميز أو البيذاتية الذاتية للذات، إذن نقول أن الوعي هنا هو الوسيلة التنظيمية التي تتخذها الذات للتعرف على الوجود الطبيعي والاجتماعي من ناحية ادراك موضوعاتهما ومحاولة فهمها. [16]

باعتبار أن الجماعة تفرض على الوعي قيودها وشروطها المؤدية إلى التماهي مع ثقافتها، ومن هنا يسعى الإنسان بإصرار للاستقلال المتزايد والحرية المتناهية من أجل سمو الذات وتطورها، لذا فإن الوعي الإنساني يحاول دائما التكيف مع الواقع بأسلوبه الخاص، لنقول أن الذات الإنسانية هي تركيب ثقافي بكل معارفه وموارده ومشاربه القيمية والفكرية المختلفة، فالإنسان نتاج الثقافة لأنها مكتسبة منذ مولده بوصفه كائنا خام، لا تتبلور امكاناته إلا في بيئة مادية ووجدانية وثقافية ملائمة وبعد جهد متواصل، ولذا فيمكن القول إن الوعي معطى اجتماعيي[17].

ومن هنا فما تشكله الذات من وعيها الخاص هو الموقف الثابت الذي لا يتغير، لأن الوعي يميل بطبعه إلى نوع من الثبوتية والتمسك لما تتبناه من خلال مسارها الثقافي والتحصيل المعرفي، الذي يساهم في تطورها الفكري الذي يجعل من الوعي متغير باستمرار، لأن الوعي الفردي عادة متغير بسرعة أكثر من الوعي الجماعي، ومهمة الوعي هنا الكبرى تتمثل في تشكيل ذاته وبناء استقلاليته بعيدا عن واقعه المعيش، وخارج معطيات البرمجة الثقافية المحلية وخارج حدود النظام الاجتماعي[18].

ومن هنا تأتي مهمة الوعي المشتعل ذكاء والممتلئ بمحصلات الخبرات السابقة وتحديد الشروط التي يتطلبها النجاح في الحقل، لأنه أصبح قادراً على التماشي مع الخبرات ومعطيات الواقع ومتطلبات الماضي فالحاضر وبين ماهو خاص وعام، وهنا تصبح الذات متطورة في كل نواحيها لأنها عوامل مهمة وأساسية مساهمة في بنائها، فمنها الوعي السليم والكامل والنمو في كل المعلومات والمعطيات والنواحي و الجوانب[19].

لذا تحتاج الذات إلى ما يسمى بنقد الذات وهو عملية طبيعية يلجأ إليها الوعي، لأنه يمثل ما يسمى وعي الوعي بذاته بملاحظة أفعاله وسلوكياته ومجاوزة النماذج الشائعة التي تمثل النموذج الذي تعتمد المجموعة لمقاربة نفسها، بالعودة إلى الأصول في عملية المقاربة والتحليل في كل المسائل التي تحتاج إلى إعادة النظر، لأن العملية النقدية هي من تجدد البناء الفكري للذات، حين تصقل وعيها ومقوماتها الفكرية بعد عملية المراجعة ويجعل منها في حالة من التجدد والتوهج والاشعاع الخلاقي الدائم في انتاج الفكر المثمر. [20]

فالفكر لا يقبل إلا ما يستسيغه أو يقبله الوعي لأن صفة الوعي والوعي الفكري الناقد للذات الذي لا يقبل القيود الفكرية، والوعي يتضمن الوعي الذاتي والوعي الموضوعية؛ بمعنى أن الذات لا يشمل الموضوع الذي تسلط عليه الطاقة الفكرية الناقدة غير المقيدة وحتى يتحقق الوعي الفكري النقدي يجب أن يشبع من منابع فكرية مختلفة ومتعددة، وهنا على الذات التوسع في مدركاتها المعرفية من العلوم ذات البعد التأملي الواسع من الفلسفة والروحانيات وعلوم الطاقة الفكرية، التي تنمي من مهارات التحليل والتفكير والإدراك إلى ربط العلاقات مع بعضها البعض، وهنا نمو الفكر يتعلق بمدى المخزون المعرفي الذي حصلته الذات في مسارها التعليمي والإدراكي أين توقف، والمستحسن أن تطول مدة المسار التعليمي ليصل إلى أعلى درجاته العلمية لينضح النمو الفكري أكثر[21].

ليتوضح لنا مدى استفادة الذات من العلوم ومعارفها في تنمية مهاراتها وبلورة ذاتها، فكل المعارف تختلف في وجهات نظرها وأبعادها المعرفية ورؤاها الفكرية، ما يساعد الذات على هضم والتفاعل مع الموضوعات من مختلف زواياها مهما كانت صعبة، فكلما كان الفكر متدفقا كان أيسرا ولينا في التعامل مع الموضوعات الصعبة،

وهنا يتحقق نمو الوعي النقدي أو الفكر النقدي الذي يعبر حقيقة عن مدى تطور الذات ونموها مع ممارسة هذا التفكير النقدي، ضمن مساحة صوتية تعبر فيها الذات عن ما تفكر به[22].

لأن نمو الوعي الذاتي شعور يعتمد على معطى معرفي ينبثق من العلوم والعقيدة الصحيحين والسليمين في منهج التفكير والرؤية والبصيرة والممارسة، لذا فالوعي يكون هنا انعكاسا شموليا للمنظومة الحياتية والثقافية التي تتفاعل معها الذات، لأنه يعد موجها سلوكيا يبنى نتاجه على مساحة الوعي النامية ببعديها السلبي والإجابي، لتحقق الذات هنا الموازنة بين النتائج السلوكية المتحصل عليها أثر الوعي الذي حصلته الذات، لذا مقومات الوعي الأساسية هي الفهم السليم والإدراك الجيد للحقائق، والعاطفة المتزنة والروح الاجتماعية الفاعلة في حسن التواصل[23].

فتشكل الوعي الذاتي للفرد هنا يكون بمثابة المصادر التي تبني الوعي الذاتي في داخل وجدان كلّ منّا لذا يعتبر الوعي الذاتي متغيراً وليس ثابتاً، فهو ينمو بنمو خبرات الإنسان، ويتغير بتغيير توجهاته، ويتأثر إيجاباً بالتعزيز وبالمحيط الجيد، وسلباً بوجود المؤثرات السلبية التي قد تكون عاملاً ضاغطاً على الإنسان.

فمفهوم الوعي الذاتي الوعي الذاتي يعبر عن قدرة الفرد على تكوين معايير من المعتقد الذي يعتنقه، ومن جملة المبادئ الأخلاقية التي يؤمن بها، ومن مجموع قيم المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك لتحكيم الاتجاهات التي ينتهجها والسلوكيات التي يقوم بها[24].

لذا فعندما نستعين بالوعي الذاتي تكون تلك الاستعانة لا شعورية، حيث إنه يكون كالمخزون لدى الفرد، وعندما يرغب بتحكم فكر معين أو تقييم سلوك معين، فأنه يقوم أولاً بإدراك وتمييز هذا الفكر بكل أبعاده، أو ذاك السلوك بكل إيجابيته وسلبياته، ومن ثم تأتي مرحلة التقييم والاختيار تقيّم الفكر والسلوك ثم القرار بتبني هذا الفكر والتوجه أو رفضه أو الإقدام على القيام بذلك السلوك أو رفضه لذا [25].

وهنا تكون الذات عكسا في أطورها النامية لكل تجارب الحياة التي يعيشها الإنسان، وصورة حقيقية تلج بهمس رقيق إلى أدق تفاصيل حياته مترجمة أضعف خلجاته مجسدة معها إنسانية الإنسان عبر جسده، فالذات والجسد عنصر واحد في ارتباطهما بعضهما ببعض، فهي تقوم باختزال للجسد في كل شيء لكونها متماشية معه

بوصفه موضوعا للتعبير عن مدى تطورها أما في شكل الجسد أو طريقة تجاوبه مع ما يحيط به، و حينها يختلط العالم الجسدي بالعالم الذات فتخلق تجربة الوجود الإنسانية ذات البعد الأسطوري، لتكتب الحياة بكل اهتزازاتها ومتغيراتها بالجسد الذي يتأسس من قيمه ومفاهيمه خطوط الفعل الذات المتطور أو المتغير، وفق هذا العالم المتغير على دوام المتالون بتلونات الفكر المزدهر تجاربه المختلفة خاصة الوجودية، لذا تستثمر الذات التجربة الجسدية لتولد من فعله العضوي في موضوعاتها كانبعاث لروحه في قالب يحمل أبجديات القداسة الإنسانية.

4- <u>السنن التغيير والانتاجية الفاعلية للذات</u>

فالذات تسعى إلى تأصيل نفسها بتدفقها الفكري في الفعل الوجودي الذي تمارسه لتخلق لنفسها الحيز المكاني الخاص بها، في مختلف التمظهر أوله الجسد ثانيه بالإنتاج الإبداعي في شتى مجلاته وبهذه الطريقة تخلق تفاعلات في الذات المتلقية لفعلها، لأن الفكر لا يموت بل يمتد جذره بمختلف مرجعياته ومشاربه المختلفة في الفئة المنتخبة من الذات تختزن عميقا ما حققته من انجازات في أذهانهم، وهنا تكون الذات المتطورة محمولا فكريا حاملة للمشروع الثقافي موجه بصورة خاصة إلى مختلف مركبات المجتمع المتعددة، عبر وسيط الجسد والفكر واللغة والفعل، لتكون عملية التطور التي تمر بها الذات صناعة للنخب الثقافية في قراءه معطيات الوجود المختلفة وأسلوب تبلور الوعي الثقافي.

لتكون الذات هي الأساس الذي يتحول بموجبه الفرد إلى فاعل اجتماعي، له ارتباط بالآخرين إذ من خلال الذات يكون الإنسان صورة نفسه وصورة الآخرين، بوصفها موضوعات أساسية للتفاعل وأن هناك علاقة تبادلية بين الذات والمجتمع لهذا فالذات تشتمل العقل والنفس، فالنفس البشرية هي بتعبير آخر الذات الفاعلة بالتآزر مع العقل البشري، وتنشأ عبر عمليات التفاعل واكتساب الخبرة المتولدة عنه وعن طريق استخدام الرموز واللغة والإشارت إذن فالذات هي الفرد عبر علاقاته التبادلية مع الآخرين، والذات هي فاعل ومفعول، فالأنا هي الذات التي تفكر وتعمل أي الأنا الفاعل، أما الأنا المفعول فهي وعي الذات بذاته كموضوع في العالم الخارجي للأفراد حسب ما يرى علم الاجتماع .

ليكون تطوير الذات هو المنهج الذي يعمل على تنمية واكتساب أي مهارة أو معلومة أو سلوك، تجعل الإنسان يشعر بالرضا والسلام الداخلي وتعينه على التركيز على أهدافه في الحياة وتحقيقها وتعدّه وتجهزه للتعامل مع أي عائق يمنعه من ذلك، من هذا المنطلق يتضح أهمية تطوير الذات ي تحقيق الأدائية العالية على سرعة الاندماج الاجتماعي، لكونه المرآة أو كاميرا الفيديو التي ترى الذات نفسها من خلاله في كل الاوضاع والمناسبات والتوافقات حسب الشخصيات المختلفة التي تقابلها، وهنا تخلق لنفسها واقعا مفترضا لكي تتناسب مع الحالات التي تتخيلها والتي تقابلها في واقعها الحقيقي، حتى تكتسب القدرة على التكيف الناجح في الحياة الاجتماعية مع كافة المستويات[26].

وهذا ما يولد فكرة الذات الواقعية التي تكون في الذات على أنها الفكرة التي يحملها الفرد إثر إدراكه " لقد ارته ومكانته وأدواره في العالم الخارجي؛ أي أنها مفهوم الفرد لنوع الشخص الذي يعتقد أنه عليه، فقد تكون لديه صورة عن ذاته كشخص له كيان، وبخلاف ذلك قد تكون له صورة سلبية عن عجزه "[27] ، فالفرد يدرك ذاته انطلاقا من الصورة التي تتشكل لديه حول قدرته ونجاحه وفشله في مجتمعه، هذه الصورة قد تكون إيجابية أو سلبية، يصل في النهاية إلى معرفة ذاته على أنها متفوقة أم عاجزة .

5- الخاتمة:

- تعتبر الذات هنا مركبا معرفيا من تفاعل كبير للمعارف والعلوم والخبرات التي تساهم في تكوينها وتشكيل معالمها الأيديولوجية التي ستسير عليها مستقبلا وتخطط حياتها وفقها.
- تعد الخبرات الماضية مصدرا معرفيا قيميا هو بمثابة القوانين والمبادئ التي تساعد الذات في التكيف الاجتماعي، الذي يعتبر نسقا ثقافيا تنمو فيه الذات ككيان اجتماعي الى كيان فردي.
- يعد نمو الوعي الذاتي ترجمة حرفية لهضم الذات لكل التصورات والإدراكات التي حصلتها في مسار حياتها وتطورها الى بروز النزعة البيذاتية، التي تكون من خلالها ذاتها المتفردة عن نسقها الاجتماعي، لتبني الذات هنا نسقها الخاص فنظهر الذات بوصفها نسقا ثقافيا خاص بمعلوماته الخاصة وتوجهاتك وأحكامه وقيمة بعيدا عن النسق الثقافة العام لكن مساهم في نموه و تطوره.

- إن التطوّر والتغيير يحصل على الأشخاص والحياة حتى لو لم يحسّوا به، والعادات التي لم تكن مألوفة في الماضي يمكن للحاضر أن يستوعبها، وأن تكون من مهمات المستقبل حين يفكر الانسان في تطوير شخصيته وأسلوب حياته، لذا فالذات هي علامة رجاء وحياة للتواصل بين تلاقي المعارف والخبرات الماضية والحاضر وتشكل تنبأ لما هو قادم من فعل وجودي مستقبلي.

6- قائمة الهوامش والاحالات

1. حوار متمدن، العدد 2842، 2009/11/28، 21:17. www.ahewar.org/debat/shoo.att
2. بسام موسى فطوس، سيمياء العنوان، عمان ،الأردن،ط2001،ط1، ص21.
3. عبد القادر بوزيدة "يوري لوتمان –مدرسة تارتو–موسكو، سيميائيات الثقافة والنظم الدالة"، عالم الفكر، السيميائيات، المجلد 35، 3 مارس ،2007، ص186،187.
   ينظر، مفهوم تطوير الذات وأهم الأسرار لتطوير ذاتك وتنميتها، https://www.annajah.net/، 2020/08/23، 12:19
4. أسامة خيري، تطوير الذات، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1، ص 25.
5. ينظر، فتحي حسن ملكاوي، البناء الفكري، مفهومه ومستوياته ومستوياته، الناشر المعهد العالمي لفكر الإسلامي، هرندن، فرجينا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 1، ط 2016، ص 63.
6. فتحي حسن ملكاوي البناء الفكري، مفهومه ومستوياته ومستوياته وخرائطه، ص 63.
7. فتحي حسن ملكاوي البناء الفكري، مفهومه ومستوياته ومستوياته، ص 74.
   سعيد بنكراد ، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص193.
8. ينظر، فتحي حسن ملكاوي البناء الفكري، مفهومه ومستوياته ومستوياته، ص 75.
9. عبد الرجمان اين خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافي، دار النهضة للتشر و التوزع، القاهرة ، مصر، 2004، ص 1008، 1009.
10. ينظر، نصر الدين بن غنيسة، فصول في السيمياء،عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1،2011، ص189.

11. الأخضر السائح ،الرواية النسوية المغاربية والكتابة بشروط الجسد، 2009، ص67.
12. فريد الزاهي، النص و الجسد و التأويل ، إفريقيا الشرق، ط 1، 2013 ص29.
13. محمد الجزار، الفكر الفلسفي، مركز الكتاب للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 2006، ص 26، 27.
14. عبد الكريم بكاري، الرحلة إلى الذات نجديد الوعي، دار العلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان للنشر، دار البشير للتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ص 10.
15. عبد الكريم بكاري، الرحلة إلى الذات تجديد الوعي، ص 11.
16. عبد الكريم بكاري، الرحلة إلى الذات تجديد الوعي، ص 11.
17. عبد الكريم بكاري، الرحلة إلى الذات تجديد الوعي، ص 21.
18. عبد الكريم بكاري، الرحلة إلى الذات تجديد الوعي، ص 40، 41.
19. ينظر، تيسير النايف، الوعي الفكري وتحقيق التقدم،http/ :www.albayane.ae./opinios-1998-09-05/ 1.14pm
20. ينظر، تيسير النايف، الوعي الفكري وتحقيق التقدم،http/ :www.albayane.ae./opinios-1998-09-05/ 1.14pm
21. ينظر، حيدر الأجودي، إشكالية الوعي في واقع متأزم، مركز المستقبل للدراسات، 2021/2020، http/annabsai.og
22. ينظر، سعيد غني نوري، الوعي الذاتي بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية، https://www.researchgate.net/publication/33141347
23. ينظر، سعيد غني نوري، الوعي الذاتي بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية، https://www.researchgate.net/publication/33141347
24. ينظر، تطوير الذات وقوة الشخصية اسرار وطرق فعالة، http://www.mawhopon.net/?p=8389، 2020/08/32، 12:19
25. غازي صالح محمود وشيماء عبد المطـــر، مفهوم الذات، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع ، عمان، 2011 ، ط 1، ـــص14.